

# مصباح السيدة روزماري

## همدان دماج

ها هو يوم دراسي آخر ينقضي بعد ساعات طويلة من العراك مع مجموعة الحاسبات الالكترونية المعقدة، "ذهول في عالم الارقام!". استنشقت -بعمق- هواء الساعة الرابعة والنصف المنعش، بعد أن اجتزت باب الكلية الرئيسي، عائداً إلى المنزل، تدور في ذهني آلاف الخواطر والأفكار المتضاربة. كنت أسير حاملاً حقيبتي المكتظة بأوراق وكتب مختلفة الألوان والأحجام، متأملاً خيوط الشمس البرتقالية تنعكس على سماء المدينة الصغيرة، الملبدة بغيوم قطنية. كانت مدينتي الصغيرة تبدو لي كثوب منكمش مثل جسدي النحل الذي انكمش من برد الشتاء الطويل... كصديقين لا يفترقان، ينعطفان يميناً ويساراً، يهرولان عند تقاطع الشارع السريع، ويركلان علب المياه

المعدنية الفارغة، يسلكان أقرب الطرق المؤدية إلى المنزل، ويجتنبان  
بحفة الحفر المائية الباردة.

\* \* \*

كان الظلام قد أرخى سدوله، وبدأت الرياح الباردة تنفذ إلى  
أطرافى المتجمدة، عندما عطفت نحو شارعى الصغير. اتسعت  
مقلتي عندما ألفتته مظلماً على غير عادته. وتحققت مرة أخرى  
من مصابيح الفلورانسية فوجدتها هاجعة. ظلام حالك لم أكن  
قد ألفتته من قبل. بدأت قدمي بالمشير بخطى مترددة، بعد أن  
غرقتا أكثر من مرة في حفر الشارع المائية. كانت أضواء الشارع  
الكبير المجاور، الذي لم تنطفئ مصابيحه العالية، تنعكس على  
عيني، مما زاد الرؤية صعوبة.

أخرجت المفتاح من جيبي بسرعة وفتحت باب المنزل،  
فاستقبلتني شعة كبيرة ذات قاعدة هرمية، توسطت الرف الموازي  
للسلام العلوية. "لقد انقطعت الكهرباء إذا!!"، قلتها مزياً

شكوكي وافتراضاتي كلها. وظهرت أمامي فجأة من بين الظلمة  
السيدة روزماري، سيدة المنزل العجوز.

- مرحباً! لقد انقطعت الكهرباء!

قالتها مجبور شديد، وفركت يديها بفرح عظيم، وأكملت:

- منذ الساعة الرابعة!

أصابني الدهشة؛ لقد كانت تتحدث وكأن شيئاً عظيماً قد  
حدث، تماماً كما لو أنها رأت مذنباً في السماء مرّ ولن يعود إلا  
بعد مئات السنين. حمدت الله كثيراً أنها بمحدثها المتواصل لم تدع  
لي فرصة للحديث؛ إذ أن لساني كان جاهزاً للتو لقذف كمّ  
هائل من اللعنات والتذمر من هذا الحدث "المأساوي"، ولولا  
حديثها المتتابع، الذي لم يدع لي فرصة حتى للتنفس، لكنت  
أفسدت عليها هذه البهجة الغربية.

كانت تتحدث بسرعة وبغبطة، تردد نفس الجمل والعبارات،  
وتفرك يدها بفرح أكثر. ناولتني شمعة لأصعد إلى غرفتي التي  
تذكرت بأسف أنني نسيت أن أغلق نوافذها هذا الصباح. بينما

ذهبت هي إلى المطبخ لتضيء مزيداً من الشموع. "سيشتعل المنزل دون شك"، حدثت نفسي بضجر.

\* \* \*

استطعتُ جاهدًا أن أفرغ مكاناً مناسباً لشمعتي الكبيرة على المكتب المكتظ بالأوراق والملفات المبعثرة. وبدأتُ شيئاً فشيئاً أحسس طريقي داخل الغرفة، ولحّت المدفئة الكهربائية قابعة في زاوية الغرفة كتمثال متجمد. وبينما كنت منهمكاً في البحث عن ملابس نومي المتناثرة في أرجاء الغرفة، سمعت باب المنزل يفتح وصوتاً أجش ينادي السيّلة روزماري، التي هرعت إليه بسرعة. علت ابتسامة على وجهي المتعب، لقد عاد إذاً "جيمس الغاضب"! هكذا كان يخلو لي تسمية زوجها، السيد "جيمس جولسي". وازدادت ابتسامتي عندما تذكرت أنني لا بد أن أسمع الآن لعنات السيد جيمس تنصب على هذه الظلمة وعلى مؤسسة الكهرباء وعلى أعضاء المجلس المحلي، وربما على "الملكة" أيضاً، عله يشاركني شعوري المكبوت، لكنني سرعان ما

منيت بحببية أمل عندما دخلت السيدة روزماري الغرفة وأعطتني شعة أكبر من سابقتها، وهي لا تزال تتحدث بفرح عن هذه الشموع التي تبعث فيها ذكريات خمسة عشر عاماً مضت. حاولت أن أقول شيئاً، لكنها كانت قد هرعت إلى الأسفل لتشعل مزيداً من الشموع.

\* \* \*

جلت بنظري أرجاء الغرفة... أوراقتي وتقاريرتي التي لا بد أن أنجزها غداً صباحاً. " ماذا أفعل الآن..؟! "، قلتها بغیظ؛ إذ كنت قد بدأت أشعر بالبرودة تحترق مفاصلي المنهكة. " اللعنة! لقد توقفت الحياة داخل هذا المنزل! "، حدثت نفسي بأسى بالغ، بعد أن تذكرت أنني لا أستطيع حتى أن أصنع لنفسني كوباً من الشاي. وبينما كنت أحاول ترتيب الأوراق المبعثرة، محترساً من ستائر الغرفة البيضاء، متيقظاً للهب المتراقص المنبعث من مجاميع الشموع التي اكتظت بها غرفتي الصغيرة؛ إذا بالسيدة روزماري تدخل الغرفة، حتى من دون أن تطرق الباب هذه المرة،

وسألتني بصوت طفولي لم يعد مناسباً أن أتبعها إلى الأسفل لتريني ماذا جلب لها "جيمي" من الخارج. التقطت إحدى الشمعات من على المكتب، وتلمست طريقي ونزلت السلام شبه العمودية بجذر، تتلمس يدي اليمنى الجدار الموازي، بينما تمسك الأخرى بالشمعة، أحاول أن أرضي إلحاح السيدة روزماري بالإسراع. شعرتُ بالفزع عندما دست بقدمي على بطن "تالي"، بفروته السوداء الكثة الناعمة التي لم أميزها في الظلمة، هذا القط الذي يفوق بحجمه كلاب قريتي البعيدة، والذي يحظى باهتمام السيدة روزماري الكبير. ورغم أنها رأت ذلك إلا أنها تجاهلت تماماً مواء قطها الضخم المدلل، واستمرت بإلحاحها أن أسرع.

\* \* \*

دخلت غرفة السيد جيمس الخاصة والغاصة بكل أنواع الخردة والأدوات والكتب. كان أمني، أن أسمع لعنات السيد جيمس تنهال على هذه الظلمة، قد تبدد تماماً عندما وجدته من خلال

ضوء الشموع المتراقص، هادئاً ومبتسماً، مربعاً يديه كطالب مدرسة ابتدائية. وبعرض يشبه عروض السيرك قدمت لي السيدة روزماري "المصباح السحري العجيب"، هكذا أسمته، وأشارت بيدها نحو فانوس زيتي مضاء كان موضوعاً في منتصف الطاولة، أحضره لها قبل قليل "جيمس"، الذي لم يعد غاضباً هذه الليلة، بل ظل في زاوية الغرفة فخوراً منتشياً، يسمح بمنديه صلعته المتوهجة. أعطتني المصباح، فأمسكته برفق وأمعنت النظر. لم يكن هذا "المصباح السحري" سوى فانوس عادي صديء، مثل كل الفوانيس التي يكتظ بها منزلنا الريفي البعيد، بل إنه كان أكثر اتسلاً وأقل جاذبية. وصمتُ مندهشاً، لكنني وقبل أن يدركوا ما آل إليه تفكيري، كنت قد تظاهرت بإعجابي اللامتناهي بهذا المصباح الجميل، الذي يعتبر تحفة أثرية رائعة، ونادرة، وقيمة، و... و... وقبل أن أكمل حديثي كان السيد جيمس قد نهض من مقعده كمن فقد صبره، وخطف المصباح من يدي وبدأ يمسحه ويدعكه بمنديه بكل عناية ولطف، بينما صفقت السيدة روزماري بيدها بمرح، والتقطت بحفة القبط

"تالي"، وأمالت رأسها على شعره الناعم وهي ترنو بإعجاب  
وفخر شديد، نحو زوجها النبي كان لا يزال يحتضن "المصباح  
السحري العجيب".

\* \* \*

كنت قد أدركت تماماً أنهما قد فقدوا الإحساس بوجودي بينهما  
في تلك الغرفة التي امتلأت بذكريات سعيدة، فغادرتهم صاعداً  
إلى غرفتي "الباردة" بعد أن تركتهما ينعمان بـ "دفء" تلك  
اللحظات، مستغرباً هذه المفارقة العجيبة؛ فإذا كانت الحياة قد  
توقفت بالنسبة لي في هذا المنزل فإنها كانت لاتزال على وشك  
البدء بالنسبة للسيد جيمس والسيدة روزماري، وربما للقط  
"تالي" أيضاً!!

## استدراك

في 19 ديسمبر 1995 انقطعت الكهرباء مؤقتاً عن شارع (Dalwish) بمدينة (Reading) بسبب بعض الإصلاحات الضرورية في شبكة الكهرباء، كما أخبرنا مندوب الشركة في صباح اليوم التالي، الذي أكد أن هذا لن يتكرر -على قياس تقريبي- لمدة خمسين عاماً قادمة. وعلى الرغم من ابتسامتي الحارة وشكر "السيد جيمس جولسي"، إلا أن السيدة "روزماري جولسي" انهالت على المندوب سباً، بعد أن أغلقت الباب في وجهه بعنف ومضت بخطى غاضبة نحو غرفتها، تاركة السيد جيمس وأنا في دهشة، دون أن تقول كلمة واحدة.

شتاء 1996